



العقل العربي 41

تأليف: رافائيل باتاي

ترجمة: علي الحارس

الفصل العاشر

الحدية والعاطفة، الخيال والواقع

3. العدوانية

إذا ما استثثرت العدوانية لدى العرب فستنفس عن نفسها بعبثية تطل أي شخص أجنبي. ففي الثاني من نوفمبر عام 1945، دعا قادة مصر إلى مظاهرات في ذكرى وعد بلفور، وكان أن المظاهرات التي خرجت لم تكتفِ بأن تحولت إلى أعمال شغب مضادة لليهود، بل نتجت عنها هجمات طالت كنائس الكاثوليك والأرمن والأرثوذكس. وفي يومي الرابع والخامس من يناير 1952، جرت مظاهرات مضادة للبريطانيين في السويس ورافقها نهب كنيسة قبطية وإحراقها ومقتل بعض القبط من قبل المتظاهرين. ويرى الباحث برنارد لويس في هذه الأعمال استمراراً لموقف في التقاليد العربية الإسلامية القديمة يعبر عنه بـ«الكفر ملة واحدة». والمقصود من ذلك أن المسلمين جميعهم فقط (ومن بينهم العرب) يشكلون أمة واحدة على المستوى النظري على الأقل، وكذلك الأمر بالنسبة لغير المؤمنين¹.

ويحاول ويلفريد كانتويل سميث أن يشرح ميل العرب إلى الأعمال الحشودية من خلال الإشارة إلى عدد من العوامل النفسية: فهو يقول أن المجتمع العربي، أو المجتمع المصري «انحدر إلى درجة يكون فيها استخدام العنف أمراً لا بد منه. وأن برنامج الإخوان المسلمين:

تعبير عن الكراهية والإحباط والزهو والهيجان المدمر لأناس عاشوا لمدة طويلة فريسة للفقر والعجز والخوف. وكل نقمة يحملها إنسان يجد العالم الحديث فوق

(1) برنارد لويس (Bernard Lewis): الشرق الأوسط والغرب: ص 95.

الفصل العاشر: الحدية والعاطفة، الخيال والواقع

طاقته يمكنها أن تجد في حركة مثل الإخوان مجالاً للتحرك والإحساس بالرضى. إنها ردة الفعل العنيفة للمسلم العربي على ما تعرض له عالمه من هجوم... إنها ردة فعل هؤلاء الذين قفزوا إلى الواجهة، بعد أن ملوا من كونهم مسحوقين، تملؤهم متعة سادية قوامها الحرق والقتل. إن حريق القاهرة /في 26 يناير 1952، واغتيال رئيس الوزراء /محمود فهمي النقراشي في 28 سبتمبر 1948، وترهيب المسيحيين /اعتماداً على حوارات للكاتب مع مسيحيين مصريين، والحدة والكراهية في أدبياتهم: كل ذلك يمكن فهمه في سياق شعب ضل الطريق، وتضارب تراثه مع الحداثة، وكان قاداته من المخادعين، ولم تعد مثله العليا صالحة للاستعمال. من هذا المنظور يمكن القول عن الاندفاع الإسلامي الجديد أنه قوة جاءت لا لحل المشاكل، إنما جاءت لتخدير أولئك الذين لم يعودوا قادرين على تحمل العجز عن حل تلك المشاكل.¹

إن ما ينبثق عن هذه المشاهد وغيرها هو صورة لنمط من البشر مستعد دائماً ليرمي في الهواء كل آداب السلوك، وخاصة عندما يكون في الحالة الحشودية، ويتصرف بوحشية. إن السبب الذي يدفع مجموعة بشرية ما إلى أن تتميز بهذا التذبذب بين حدين متضادين هما ضبط النفس والانفجار العاطفي الهائج، بينما توجد مجموعات أخرى تعيش نمطاً قوياً، يبقى ضمن الأسئلة الملحة التي لا يوجد لها حتى الآن إجابة مقنعة.

(1) ويلفريد كانتويل سميث (Wilfred Cantwell Smith): معنى الدين ونهايته: ص 158-159.